ارتجي او مل حسن ظني عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وبقوله انا عند ظن عبدي
بي فلا يظن بي الا خيرا التوبة وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب
بخلاف الندم عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهمهم فيه
فان ذلك لايعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث
الندم عليها لا لغرض اخر ايضا وعزم ان لايعود اليها ما عاش لذلك ايضا
لا لنحو قطع ذكر والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضا ما عصى بترك
ادايه فورا وباداء ما عصى باخذ ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا
ان قدر والا عزم عن ما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه لقوله
والتوبة ولو من الصغاير واجبة اجماعا وتصح على الاصح وان سبقها توبة
من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك النصوح اي التي لا يعود من
حصلت له الى الذنب ابدا او لوقوعها خالصة عن كل شايبة من شوايب الحظ
بان تكون لله وحده لا لغرض اخر ولو اخرويا كان تاب لاجل دخول الجنة
فان ذلك لا يوثر في صحة اصل التوبة وانما يوثر في كمالها لانها مشوبة
بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن اني ينبغي هذا الترجي و الحال
اني ملتبس بما قد بينها اذ في القلب نفاق من حيث العمل باعتبار انه
قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك انما يصدر ممن امن
بلسانه فقط وفي اللسان والاركان رياء اي نظر الى الخلق باعتبار
انما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفق او ثناء من مخلوق
ومع ذلك لا اترك التوبة ورجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رضي الله عنها
استغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار

ومتى يستقيم قلبي وللجسم اعوجاج من كبري والخناء ٤٠٦

ومتى

ومتى للاستفهام التعجبي يستقيم قلبي بان لا يبقى فيه نظر الى ما
يحجب عن الله من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل الى الله وحده و الحال اني
وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل
عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هي انه حصل للجسم اعوجاج من
اجل كبري اي كبر سني ووهن عظمي من كبر بكسر الباء اي اسن والخناء
لقامتي وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها
والانحنا مختص بالقامة اذ تقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة بخلاف
ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى وعظ يوثر فيه وادنى
زجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما
اخرت التوبة الى هذا الزمن لاني قال

كنت في نومة الشباب فما استيقظت الا ولمتي شمطاء ٤٠٧

كنت في نومة الشباب الذي تكثر فيه الغفلات وتتوالى على اهله
الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق من
نومه الا بمحرك قوي فما استيقظت من تلك الغفلة في حال من الاحوال الا و
الحال انه لمتي اي لحيتي شمطاء اي اختلط سوادها ببياضها وما
تقرر في زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والانزجار بادنى وعظ
وهنا انه محل للغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان كان محل
الهفوة والزلة لكن صاحبه ينتبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا
لان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة
فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصي
الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسى وصلب فلا
يتقوم اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا
تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)